رسائل جامعية

الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم

قبل الرسالة المحمدية

تأليف

عبد الهادي بن سعد بن هادي الشمراني

دار ابن الجوزي

أصل هذا الكتاب أطروحة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى.

الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم

قبل الرسالة المحمدية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
رمضان ١٤٢٧ هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٧هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - الخبر - ت: ٨٩٩٩٣٥٦ - فاكس: ٨٩٩٩٣٥٧ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠

البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

المقدمة

وتشتمل على ما يلي:

- بيان السبب في اختيار موضوع البحث.
- المنهج الذي سرت عليه في كتابة الموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له؛ ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1] [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فمما سبق من معرفة بحثي المعنون بـ (الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية) لقد استنتجت معانيها من كتاب الله ـ تعالى ـ؛ أشرف كتاب، وأبين كتاب، وأهدى كتاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ثم ما جاء على لسان محمد ﷺ من الأحاديث الصحيحة المفسرة لما جاء فيه من منهج عظيم هدى به الله الإنسانية، وزعزع به كيان الوثنية، وردها إلى جادة الصواب؛ بوحي من العزيز الوهاب.

---

(١) هذا جزء من خطبة الحاجة، أخرجها أحمد في المسند (١/ ٣٩٢)، برقم [٣٧٢٠]، [٣٧٢١]. وأبو داود، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢/ ٥٩١)، برقم [١١٠٥] وقال: حديث حسن. وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١/ ٦٠٩)، برقم [١٨٩٢]. انظر: (صحيح سنن ابن ماجه) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١/ ٣١٩)، برقم [١٥٣٥]. حيث تتبع طرقها رحمه الله في رسالته «خطبة الحاجة» ص(١٤)، نشر المكتب الإسلامي.

ولا شك أن منهج القرآن في عرضه لقصص الأولين، وسبب عقوباتهم، ونوع عقوباتهم؛ كان الغرض منه العبرة والعظة؛ للعمل به وتطبيقه في عالم الواقع؛ لئلا يصيبنا ما أصاب تلك الأقوام الغابرة.

ولقد اكتسب القصص القرآني أهمية عظمى في تحليله للأسباب والنتائج، والأحداث والوقائع، حتى لكأن الإنسان يقرؤها لأول مرة، أو يسمعها لأول مرة، أو لكأنه يشاهدها رأي عين، وهذه الخاصية التي نستطيع أن نسميها (إحياء المشهد المعروض) لا توجد في غيره، يعرض المشهد تلو المشهد، والواقعة تلو الواقعة دون تكرار في صور ومشاهد تكاد أن تكون ماثلة للعيان.

ولعرض القصص القرآني آثاره في الأفراد والجماعات وبخاصة إذا تخللته العبر والمواعظ؛ لما لها من وقع عظيم في نفوس الأمة لبناء مجتمع فاضل يحيا على القرآن، ويعيش مع القرآن، ويمتثل لأمر القرآن، وينتهي بنهي القرآن؛ لأن الإسلام يريد مجتمعًا فاضلًا؛ لا آحادًا فضلاء؛ فالإنسان يصلي فيستقيم قلبه، ويزكي فتزكو نفسه، ويصوم فتقوى إرادته، ولكن الفضائل لا تنمو ولا تزدهر إلا في ظل مجتمع فاضل يتخلق بأخلاق القرآن؛ ولهذا كان علم القرآن وتفسيره وأخذ العبر والدروس منه أشرف صناعة وأربح بضاعة، رجفت عند تلاوته القلوب، وذرفت عند سماعه العيون، واقشعرت للذة تدبره الجلود.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال عنه عبد الله بن مسعود ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به، لا يعوج فيقوّم، ولا يزوغ فيشعب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن ردّ. اتلوه؛ فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات، لم أقل لكم: (الم) حرف؛ ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)، برقم [٦٠١٧] من طريق سفيان بن عيينة =

والقرآن ليس كغيره من الكتب في الترتيب والتبويب كما يقول الشيخ ابن سعدي: «لأنه بلغ في البلاغة نهايتها، وفي الحسن غايته، وفي الأسلوب البديع والتأثير العجيب ما هو أكبر الأدلة على أنه كلام الله المعجز. فتجده في آية واحدة يجمع بين الوسائل والمقاصد، وبين الدليل والمدلول، وبين الترغيب والترهيب، وبين العلوم الأصولية والفروعية، وبين العلوم الدينية والأخروية، وبين الأغراض المتعددة والمقاصد النافعة، ويعيد المعاني النافعة على العباد؛ ليتم علمهم، وتكمل هدايتهم، ويستقيم سيرهم على الصراط المستقيم علمًا وعملًا»[1].

وهذا الكلام ظهر لي في كثير من آيات القرآن التي تحدثت عنها؛ في قصة إبليس ـ اللعين ـ في امتناعه عن السجود لآدم ووسوسته له، ثم ما جاء في قصص الأنبياء عليهم السلام من اختلاف في الألفاظ وكمال في المعنى المؤدي لقصد واحد.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع فهي كما يلي:

أولًا: الإسهام في الدراسات القرآنية.

ثانيًا: الوقوف على جانب من سنن الله في خلقه، والكشف عن أسباب العقوبات ونوع كل عقوبة، والتأكيد على أنها دروس من الماضي للحاضر.

ثالثًا: المجتمعات المتقدمة حادت عن طريق الله وعن هَدي رسل الله؛ فضلّت وأضلّت، فعاقبها الله عقابًا شديدًا، وعذبها عذابًا نكرًا، وكان عاقبة أمرها خسرًا.

= عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود. وقد تكلم الأئمة في إبراهيم الهجري هذا، إلا أن رواية ابن عيينة عنه صححها الأئمة؛ لأنه مَيّز حديثه.
انظر: (الجرح والتعديل) للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (٢/ ١٣١ ـ ١٣٢)، ط دار الفكر، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (أبي أحمد عبد الله بن عدي) (١/ ٢١١ ـ ٢١٣)، ط دار الفكر. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٤٣)، الطبعة المحققة؛ حيث قال المحقق د/ سعد آل حميد: وللحديث طرق كثيرة عن إبراهيم الهجري، وجدت منها أربعة عشر طريقاً، منها أربعة طرق موقوفة، وعشرة طرق مرفوعة. انظرها من ص(٤٥ ـ ٤٨). ومعنى فيشعب: أي فيصلح.

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط الثالثة، ص(٦).

أما المجتمعات المعاصرة فقد حادت عن منهج القرآن دينيًّا، وفكريًّا، وأخلاقيًّا، وحضاريًّا، واقتصاديًّا ـ إلا من رحم الله ـ بعكس ما كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمة حين صدقت الله صدقها الله؛ لأنها وعت سنة الله التي لا تتبدل، فأحببت أن أبيّن بعض ما عاقب به الله الأمم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم.

رابعًا: إبراز حقائق المنهج القرآني في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

قال القاسمي في تفسيره: «في هذه الآية وعيد شديد وإنذار رهيب قاطع، بأنه إذا انحرف الآخذون بالدين والمنتمون إليه عن جادته المستقيمة، ومالوا مع الأهواء، وتركوا التمسك بآدابه وسنته القويمة، حلّ بهم ما ينقلهم إلى المحن والبلايا، ويفرق كلمتهم، ويوهي قوتهم، ويسلط عدوهم»[(١)].

خامسًا: حبي الشديد منذ بداية دراستي في جميع مراحل التعليم للقرآن الكريم، وما يتصل به من علوم أخرى، ورغبة في اختيار موضوع يتعلق بالقرآن والسنة النبوية، وتقربًا إلى الله ـ سبحانه ـ بأحب الأعمال إليه، وإيمانًا مني بأن صلاح هذه الأمة لا يكون إلا بالرجوع إلى كتاب ربها، وسنة نبيها محمد ﷺ، والعمل بهما.

سادسًا: آلمني وآلم كل مسلم غيور ما حل بهذه الأمة العظيمة من ضعف بعد قوة، ومن ذلة بعد عزة، ومن فرقة بعد وحدة، فأحببت أن أبين سنة الله ـ تعالى ـ في تعذيب الأمم وفنائها حين تركت أمر ربها، وحادت عن طريقه المستقيم، ونهجه القويم، فلعل قارئًا أوعى من كاتب، أو مُبَلِّغًا أوعى من سامع، يستفيد من قصصه وعبره، وينقلها لمن يفيد ويستفيد؛ لأن المؤمن لا يكمل إيمانه بمجرد إصلاحه لنفسه إذا لم يهتم بإصلاح غيره؛ فيأمر بمعروف، وينهى عن منكر، وفي الحديث: «**بلغوا عني ولو آية**»[(٢)].

سابعًا: المتتبع لقصص القرآن الكريم ـ وخاصة ما حصل للأنبياء والمرسلين مع أقوامهم ـ يجد فيها الدروس والعبر المهمة لكل داع ومصلح من المسلمين؛

---

(١) تفسير القاسمي (محمد جمال الدين) (محاسن التأويل) (٩/ ٣٣٩)، ط الثانية «دار الفكر».

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٢/ ٤٩١)، برقم [٣٤٦١].

ليخرج الرحيق الذي يشفي النفوس من عللها، وتكون له منهجًا يسير عليه في دعوة أهل زمانه، وما أحسن أن يقص الداعي قصة نبي مع قومه ويستخرج منها الدروس والعبر المستفادة ليعالج الداء بالدواء على حسب ما يقتضيه المقام، وكل هذا موجود في عقوبات الأمم التي عصت ربها.

ثامنًا: هذا الموضوع لم يتناوله أحدٌ من قبل ـ فيما أعلم ـ.

منهجي في البحث

➢ **أولًا**: اعتمدت فيه أولًا على كتاب الله ـ تعالى ـ؛ حيث جمعت الآيات المتعلقة بكل عقوبة، وقسمتها إلى قسمين: (قسم أشار إليها بصراحة، وقسم فصل عقوبة كل قوم من الأقوام الهالكين)، متتبعًا عقوبتهم في كل سورة ذكرت فيها حسب ترتيبها في المصحف.

➢ **ثانيًا**: ذكرت لطائف كل عقوبة مفرقًا بينها وبين كل ما سبقها في كل سورة بعنوان (لطائف الآيات غير ما سبق).

➢ **ثالثًا**: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، فذكرت اسم السورة ورقم الآية مهما تكررت، وكتبت الآيات بالرسم العثماني تفاديًا لوقوع أي خطأ في كتابتها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

➢ **رابعًا**: استعنت بكتب السنة فيما ذكرته في البحث من الأحاديث النبوية الشريفة، وعزوتها إلى مصادرها الأصلية.

فما أخذته من الصحيحين أو أحدهما رددته إليهما بالجزء والصفحة واكتفيت بذلك.

وما ذكر في بقية الكتب الستة أو المسانيد أو غيرها بينت مكانه فيها، ورجعت في الحكم عليه إلى الكتب المعتمدة عند أهل الحديث ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

➢ **خامسًا**: استعنت بكتب التفسير المشهورة؛ سيما الأمهات منها، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

➢ **سادسًا**: جعلت ما نقلته نصًّا من مرجعه الأصلي بين قوسين وذكرت مرجعه في الهامش، وما نقلته بتصرف أو عبرت عنه بأسلوبي أشرت إلى ذلك بقولي: انظر: (المرجع).

➢ **سابعًا**: اقتضى البحث تقديم تمهيد في كثير من العقوبات لما رأيت الحاجة إلى ذلك.

➢ **ثامنًا**: بينت في الحاشية بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى بيان.

➢ **تاسعًا**: ترجمت لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث ما عدا المشهورين منهم، ورجعت في ذلك إلى المراجع الأصلية التي اعتنت بتراجم العلماء.

➢ **عاشرًا**: عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار، وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

➢ **الحادي عشر**: أطلت الكلام في بعض المباحث واختصرت في بعضها الآخر على حسب الحاجة.

➢ **الثاني عشر**: رتبت عقوبة كل قوم حسب زمنهم التاريخي كما درج عليه أئمة هذا الفن؛ كابن جرير في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، وما خالفتهما فيه فقد بينته في موضعه.

وقد جاءت خطتي في البحث على النحو التالي:

➢ **أولًا**: المقدمة.

➢ **ثانيًا**: التمهيد.

➢ **ثالثًا**: فصول البحث.

➢ **رابعًا**: الخاتمة.

فأما المقدمة فبينت فيها أمرين:

الأول: سبب اختياري للموضوع.

الثاني: المنهج الذي سرت عليه فيه.

وأما التمهيد ففيه:

أولًا: تعريف العقوبة.

ثانيًا: الفرق بين العقوبة والحد؛ ليتبين للقارئ أن الموضوع في العقوبات لا في الحدود.

وأما فصول البحث فقسمتها على النحو التالي:

الفصل الأول

العقوبات الإلهية في بدء الخلق

وفيه ثلاثة مباحث:

* **المبحث الأول**: عقوبة إبليس ـ لعنه الله ـ.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثاني**: عقوبة آدم عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثالث**: عقوبة قابيل.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

الفصل الثاني

العقوبات الإلهية من زمن نوح عليه السلام إلى بداية زمن موسى عليه السلام

وفيه ستة مباحث:

* **المبحث الأول**: عقوبة قوم نوح عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثاني**: عقوبة قوم هود عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثالث**: عقوبة قوم صالح عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الرابع**: عقوبة قوم لوط عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الخامس**: عقوبة قوم شعيب عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث السادس**: عقوبة قوم الرسل المذكورين في سورة يس.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

الفصل الثالث

العقوبات الإلهية في عهد موسى عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

* **المبحث الأول**: عقوبات فرعون وقومه.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تحدثت عن هذه العقوبات.

المطلب الثاني: سبب كل عقوبة.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثاني**: عقوبات بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبات.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثالث**: عقوبة قارون.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

الفصل الرابع

عقوبات بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام

وفيه أربعة مباحث:

* **المبحث الأول**: عقوبة قومٍ منهم خرجوا حذرًا من الموت.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثاني**: عقوبة قوم طالوت.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثالث**: عقوبة أصحاب السبت.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الرابع**: عقوبة بني إسرائيل في أول سورة الإسراء.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

الفصل الخامس

عقوبات بني إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام وبعده

وفيه سبعة مباحث:

* **المبحث الأول**: عقوبة من كفر بالمائدة وأراد قتل عيسى عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثاني**: عقوبة صاحب الجنتين.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الثالث**: عقوبة أصحاب الجنة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الرابع**: عقوبة أصحاب الأخدود.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث الخامس**: عقوبة أهل سبأ.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث السادس**: عقوبة أصحاب الرس.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

* **المبحث السابع**: عقوبة أصحاب الفيل.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي تناولت هذه العقوبة.

المطلب الثاني: سببها.

المطلب الثالث: نوعها.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة منها.

وأما الخاتمة فذكرت فيها:

١ ـ الأسباب التي أهلك الله بها الأقوام.

٢ ـ التوصيات والمقترحات.

وبعد، فهذا هو المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث، وهذا ما استطعت إظهاره، محاولًا إخراجه في أجمل هيئة، وأبهى حلة، كل ذلك خدمة لكتاب ربنا ﷻ، فما أصبت فيه فمن الله وحده وله الفضل والمنّة، وما أخطأت فيه فمن نفسي وأستغفر الله، وأسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه؛ حتى يكون شاهدًا لنا لا علينا، وأن ينفعنا بما فيه، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالعقوبة.

المبحث الثاني: الفرق بين العقوبة والحد.

تعريف العقوبة

العقوبة لغة: اسم مصدر من عاقبه يعاقبه عقابًا ومعاقبة: إذا جازاه بشرٍّ على ذنب اقترفه.

تقول العرب: أعقبت الرجل: إذا جازيته بخير، وعاقبته: إذا جازيته بشر؛ فأطلق على الجزاء بالخير عاقبة، وعلى الجزاء بالشر عقابًا[(١)]. ويقال للمتمادي في غيه: واحذر عُقْبَ الله وعقابه وعقوبته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[(٢)] [غافر: ٥].

وكلمة «عقب» تدل على أمرين[(٣)]:

الأول: تأخر الشيء وإتيانه بعد غيره.

الثاني: أنها تدل على الارتفاع والصعوبة.

ومعنى الأول جاء في معنى اسم النبي ﷺ «العاقب»؛ لأنه عقب من كان قبله من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام[(٤)] ـ.

ومنه: العقوبة والعقاب والمعاقبة؛ لأنها تأتي بعد الذنب.

والمعنى الدال على الأمر الثاني ومنه: العَقَبة بطرقها الوعرة، وجمعها عِقاب ـ بكسر العين ـ وتدل أيضًا على كل شيء له علو وشدة؛ ولذا سمي العقاب من الطير عقابًا؛ وهو أحد الطيور الجارحة؛ لما فيه من الشدة والقوة[(٥)].

قال الشاعر[(٦)]:

---

(١) (محيط المحيط) ص(٦١٧)، (لسان العرب) (٩/ ٣٠٥)، وانظر: (معجم مقاييس اللغة).

(٢) وانظر: (مختار الصحاح) ص(٢١٠). (٣) (معجم مقاييس اللغة) (٤/ ٧٧).

(٤) انظر: (لسان العرب) (٩/ ٣٠١) مادة «عقب».

(٥) انظر: (معجم مقاييس اللغة) (٤/ ٨٤، ٨٥)، (القاموس المحيط) (١/ ٢٠٣)، وانظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر) (٣/ ٢٦٧).

(٦) كتاب شرح أشعار الهذليين للسُّكَّري (١/ ٢١٣). وانظر: (لسان العرب) ٩/ ٢٩٩ مادة =

فإن كنت تشكو من خليل مخافةً فتلك الجوازي عُقْبُها ونصورُها

والجمع: العواقب والعقب[1].

والحاصل أن العقبى: جزاء الأمر، وأعقبه: جازاه، وتعقبه: أي أخذه بذنب كان منه[2].

أما تعريفها الاصطلاحي فعرّفت بعدة تعريفات، منها:

أولًا: إنها زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر[3].

ثانيًا: الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع[4].

ثالثًا: عقوبة غير مقدرة من الشارع، يهلك الله بها من عصى أمره، وكذب أنبياءه.

ونلاحظ في التعريفين الأولين أنهما يتعلقان بالحدود؛ لما فيها من المصالح العظيمة العائدة على المجتمعات.

وأما التعريف الثالث فهو التعريف الذي يتعلق بموضوعنا (العقوبات الإلهية التي تحل بالقوم المكذبين بعد التبليغ والإنذار).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

❖ ❖ ❖

= «عقَب». ومعنى البيت: إن كنت تخاف مما فعلت فإني قد أعقبتك وجازيتك كما فعلت وانتصرت منك بعدما عاديتك.

(١) لسان العرب (٩/ ٩٩) مادة «عقَب». (٢) القاموس المحيط (١/ ٢٠٣).

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص(٢٧٥).

(٤) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة (١/ ٦٠٩).

الفرق بين العقوبة والحد

الحد لغة: المنع؛ ومعناه: الفصل بين الشيئين[1].

وفي الاصطلاح:

عرفه الزيلعي[2] بأنه: عقوبة مقدرة تجب حقًّا لله تعالى[3].

وعرفه الشربيني[4] بأنه: عقوبة مقدرة وجبت زجرًا عن ارتكاب ما يوجبه[5].

وعرفه ابن النجار[6] بأنه: عقوبة مقدرة شرعًا في معصية؛ للمنع من الوقوع في مثلها[7].

أما العقوبة السماوية فهي:

أولًا: غير مقدرة بحد معيّن. ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجد أن ما عوقب به بعض الأقوام السابقين لنبوة محمد ﷺ كان ساحقًا ماحقًا لهم، فتارة يكون بإرسال حاصب عليهم، وتارة بإرسال صيحة واحدة، وتارة بالخسف، وتارة بالغرق، على حد قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]؛ وذلك لأن البشرية حين بدأت طريقها بدأته مهتدية مؤمنة موحدة لله؛ ولكن سرعان ما

---

(١) لسان العرب (٣/ ١١٦)، وانظر: التعريفات ص(١١٢)، ط دار الكتاب العربي، انظر التعريف به في: الأعلام، (٥/ ١٥٩، ١٦٠)، القاموس المحيط (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص(١١٥) خير كثير، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ص(٥١٩).

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ١٦٣)، وانظر: الأعلام (٤/ ٢١٠).

(٤) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٦١)، الأعلام (٦/ ٦).

(٥) مغني المحتاج (٤/ ١٥٥).

(٦) انظر: شذرات الذهب (١٠/ ٣٩٦).

(٧) منتهى الإرادات (٢/ ٤٥٦).

يطرأ عليها ما يصرفها عن الحق، فيرسل الله إليهم رسولًا ليردهم إلى جادة الصواب، ويهديهم لطريق النجاة، فمن أطاع نجا وفاز؛ ومن عصى خاب وخسر.

ثانيًا: الحدود مقدرة شرعًا كمًّا[1] وكيفًا؛ أما العقوبة الإلهية فليس لها ذلك.

ثالثًا: يصح العفو في الحدود ما لم ترفع إلى الحاكم، فإذا رفعت فلا عفو ولا شفاعة، لحديث: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله** ﷻ...»[2].

رابعًا: حق استيفاء الحدود موكولٌ إلى الإمام أو نائبه، وليس لأحد غيرهما أن يقوم باستيفائه[3].

يتبين مما سبق بأن موضوعي في العقوبات الإلهية لا في الحدود.

❖ ❖ ❖

---

(١) تبيين الحقائق (٣/ ١٦٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب في الشهادات (٤/ ٢٣)، برقم [٣٥٩٧] عن ابن عمر، ط دار الحديث. ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٧٠)، برقم [٥٣٨٣]. ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الحدود (٤/ ٤٢٤)، ٤٢٥، برقم [٨١٥٧] وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني ﷺ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٢٢)، برقم [٤٣٧].

(٣) المبسوط لشمس الدين السرخسي (٩/ ١٠٤).

الفصل الأول

العقوبة في بدء الخلق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقوبة إبليس.

المبحث الثاني: عقوبة آدم وحواء عليهما السلام.

المبحث الثالث: عقوبة قابيل.